

الدرس : 11 - سورة يونس - تفسير الآيتين 42 - 51 : علامة العقل الاستقامة
على أمر الله - مذنب هالي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-11-1985

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

العين مكان الإحساس والدماغ مكان الإدراك والقلب مكان العقل :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ وصلنا في سورة يونس عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام إلى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَإِنَّهُ شَمِعَ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَإِنَّهُ تَهْدِي الْعُمَيْنِ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ ﴾ .

الحقيقة هذه الآية من الدقة بمكان ، نبدأ بالعين ، هناك عين ، وهناك دماغ ، وهناك قلب ، وهناك اتصال بين هذه الأشياء الثلاث ، فهذه الكرة تتطبع في شبكيتها الصور ، والعصب البصري ينقل هذه الصور إلى الدماغ ، الدماغ يدرك ، العين تحس ، العين مكان الإحساس ، والدماغ مكان الإدراك ، والقلب مكان العقل ، بدليل قوله تعالى :
وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْعُدُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَنْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)

سورة الأعراف

أحياناً الطفل الصغير يرى ثعباناً أرقاماً مخيفاً ، صورة الثعبان انطبعت على شبكيته ، ولكنه لم يدرك ما هو ، لذلك لا يخاف ، ولا يتأثر ، ولا ينفعل ، وقد يدرك ما هو ، وبين هذا الإنسان وبين الثعبان حاجز منيع لا يتحرك ، لكن إذا انطبعت صورة الثعبان في شبكيّة العين ، وانتقلت هذه الصورة إلى الدماغ ، والدماغ بحكم التجربة والمفهومات التي حصلها في سنّي حياته أدرك أنه ثعبان ، هل تعرفون ما دور العقل ؟ دور العقل هو التحرك لاتقاء شره أو للهروب منه

، فمن لم يتحرك لم يعقل ، من لم يعرف الخطر لم يدرك ، من لم ير لم ينصر ، فالعين تبصر ، والدماغ يدرك ، والقلب يعقل .

أحياناً تصاب الشبكية بخراب ، أو تصاب العين ، أو عدستها ، أو جسمها البلاوري ، أو خلطها المائي ، أو خلطها الزجاجي ، أو قرنيتها ، أو قزحيتها بعطب ، فهناك عمي سببه تخريب جهاز العين ، وقد تكون العين سليمة مئة في المئة ، لكن مركز الرؤية في الدماغ يُصاب بالعطب ، هناك عمي في الدماغ ، وإذا جاءت الشهوات فختمت على القلب نقول : هناك عمي ثالث هو عمي القلب ، فإذا أنت تصاب العين بعطبٍ فتعمى ، وإنما أن يصاب الدماغ بعطبٍ فيعمى ، فتتعطل الرؤية ، وإنما أن يصاب القلب الذي هو مناط العقل بعطبٍ ، أو يحال بينه وبين الحقائق فهذا هو عمي القلب ، والله سبحانه وتعالى يقول :

**أَفَمَنْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَفَرَأَيْتَ أَذْانَ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ
الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)**

سورة الحج

التعامل بين الإنسان وبين المحيط مبنيٌ على الإدراك والانفعال والسلوك :

أحد العلماء قال : إن قانون التعامل بين الإنسان وبين المحيط مبنيٌ على ثلاثة مراحل ؛ إدراك ، انفعال ، سلوك .

الإدراك أولاً من لم ينفعه إدراكه غير صحيح ، من لم يسلك فانفعاليه غير صحيح ، الناس درجات ، أناسٌ في غفلة عن حقائق الدين ، هؤلاء بعدوا عن الدين ، أناسٌ يفعلون ، أي عندهم عاطفة دينية ، يتأنثرون ، يتمنون نصر المسلمين ، لكن سلوكهم في البيت هو هو ، لم يتحركوا ، هؤلاء لا يجدون انجذاباً لهم شيئاً ، وعاطفهم المتأرجحة لا تنفعهم ، ما لم يسلك طريق الحق ويبعد عن طريق الباطل لا يُعدُ المسلم مسلماً حقاً ، لذلك :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوْفَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ
بَعْضُهُمُ أُولَئِكَ بَعْضٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَائِتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنَّ
إِنْتَصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْتُكُمْ وَبَيْتُهُمْ مِيقَاتٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(72)

سورة الأنفال

المعاصي حجاب بين القلب وبين عقل الحقيقة :

ربنا عَزَّ وجل يقول هنا : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ... لَمْ يَقُلْ : وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُونَكَ ، بل يسمعون إليك ، أي جلس ليسمع ، لكن السماع ينتقل من الأذن ، إلى الدماغ ، إلى القلب ، قلبه مغلق بالشهوة .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمُ الْأَذْرَافُ أَمْ لَمْ تُنْذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)

سورة البقرة

فالختم على القلب حكمي ، لأن منافذ القلب مسدودة بالشهوات ، إذا : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ شَمِيعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَقْلُولُونَ ... أَيْ صَمَّ هَذَا ؟ هُلْ هُوَ صَمَّ الْأَذْنِ ؟ لَا ، الْأَذْنُ سَلِيمَةٌ تَتَأْثِيرُ بِأَدِيقِ الْأَصْوَاتِ ، هُلْ الدَّمَاغُ أَصَابَهُ عَطْبٌ ؟ لَا ، هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي نَقْلَهُ غَشَاءُ الْطَّبْلِ إِلَى عُظِيمَاتِ السَّمْعِ إِلَى الْأَذْنِ الدَّاخِلِيَّةِ إِلَى الدَّمَاغِ أَدْرَكَ الدَّمَاغَ فَحَوَاهُ ، وَسَمَّاهُ اللَّهُ أَصَمَّ ، مَا الَّذِي جَعَلَهُ أَصَمًّا ؟ إِنَّ الطَّرِيقَ مِنَ الدَّمَاغِ إِلَى الْقَلْبِ مَسْدُودٌ بِالْشَّهَوَاتِ ، فَرَبِّنَا عَزَّ وَجَلَ قَالَ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿ شَمِيعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَقْلُولُونَ ﴾ أَتَى لَهُمْ أَنْ يَعْقُلُوا هَذِهِ الْحَقْيَقَةَ مَا دَامَتِ الشَّهَوَةُ قَدْ سَدَّتِ مَنَافِذَ الْقَلْبِ ؟

صار عندنا العين تنتقل الصور منها إلى الدماغ ، ومن الدماغ إلى القلب ، وتنتقل الأصوات من الأذن إلى الدماغ ، ومن الدماغ إلى القلب ، فقد يُصاب الإنسان بصم جزئي ، أي بعطب في الأذن ، أو بعمى في العين ، وقد تخرب أماكن الإدراك في الدماغ فيصاب الإنسان بعمى منشأه الدماغ ، وبصم منشأه الدماغ ، هذه كلها أشياء عضوية ، لكن قد يُصاب الإنسان بصم القلب وبعمى القلب ، وصم القلب وبعمى القلب هذان مرضان منشؤهما نفسي ، أي الاستغراق في الدنيا أن تأخذ الشهوة على الإنسان مداخل قلبه ، أن تسد هذه المداخل ، أن تكون الشهوة هم الإنسان ، شغله الشاغل ، عنده لا يعي القلب على خير :

كَلَّا بَنْ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)

سورة المطففين

أي الأفعال السيئة تكون حاجزاً بين القلب وبين الحقيقة ، شيءٌ دقيق جداً .. مثلاً أنا أضرب بعض الأمثلة : إنسان يرى عرفته ثعباناً ولا يتحرك ! هذا مستحيل ، قد تتطبع الصورة في العين والدماغ لا يدركها ، وقد يدرك الدماغ ولا يتحرك ، إذاً هو إنسان غير عاقل ، بل مجنون .. ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ فالله سبحانه وتعالى سمى هؤلاء الكفرا وصفهم بالصم ، ووصفهم بالعمى ، ولكن هذا الصم وهذا العمى ليس منشأه عضوياً ، ولكن منشأه

نفسي ، انغماس الإنسان في الدنيا ، تعلقه بها ، ارتكابه المعاشي ، هذه المعاشي كلها تكون حجاباً بين القلب وبين عقل الحقيقة .

من يعقل الحق يتحرك لتطبيقه :

أنا الذي أريده من خلال هذا الكلام ، أنه مهما استمعت إلى الحق ، ومهما كان الحق واضحًا ، ومهما كانت الأمور واضحة لديك ، إن لم تتحرك فإن الحق لا يُجدي ، أي هذا كلام خطير ، كلام يسميه بعضهم مصيريًا ، أي مصيرك في الدنيا والآخرة متوقف على تطبيقه ، فعندما يسمع الإنسان ، ويتأثر ، ويثنى على المتكلّم ، وهو كما هو ، نقول : إنه لم يعقل الحقيقة ، لو عقلها لسلك سلوكاً يتاسب مع عقله لها .

النبي الكريم هكذا فهم الدين ، تأثيرك المعلومات الدقيقة ، تكون جالساً ولا تبادر من فورك ، أما إذا بلغتك كل هذه المعلومات وأنت بحاجة ترى نفسك تتحرك ، هذا شأن الإنسان في الدنيا ، إذا بلغه أن في هذه السيارة مخالفة تسبّب مصادرتها ماذا يفعل ؟ لا يفعل شيئاً حتى يزيل أسباب المخالفة .

إذا بلغك أن هذه البضاعة سوف تصادر ، وتدفع ثمانية أضعاف عن ثمنها جزاءً فماذا تفعل ؟ تبقيها في محلّك التجاري ؟ من الممكن ألا تتم هذه الليلة ، طول الليل تعمل كي تنقلها ، عندما يكون إدراك الإنسان صحيحاً ، وينقل الإدراك إلى القلب تجد أنه تحرّك ، هذا مقاييس لنا جميعاً ، أخي والله تباركنا بك يا أستاذ ، والله مجلس علم زاخر ، والحمد لله ، وصافحت يد الشيخ تبركاً ، ومشي الحال ، وأنت أنت في البيت والله ما عقلت شيئاً ، ولا نقدمت درجة ، وكله وهم في وهم ، حتى تتحرّك ، حتى تغضّ بصرك ، وتحرّر دخلك ، وتسرّ عيالك ، وتزيل المخالفات من البيت فالآن أنت عقلت الحق ، أما قبل ذلك فشمنت رائحته ، أدركه بفكرك ، ولم ينتقل إلى قلبك .. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ لكي يوفر الإنسان وقته ، كي لا يقول الإنسان : أنا بقيت عند الأستاذ اثنتي عشرة سنة ولم أنقدم ، والله لم أستقد شيئاً ، أنت لا تطيق ، الازدحام الشديد لا قيمة له عند الله عزّ وجل .. واحد كألف وألف كألف .. أي واحد عقل الحقيقة انتهى أمره ، أعرابي من الصحراء جاء النبي عليه الصلاة والسلام وقال له : " يا رسول الله عظني وأوجز ؟ " ، فقرأ عليه النبي الكريم :

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

سورة الزينة

قال له : " قد كُفِيت " ، أي آية واحدة لو عقلتها قد تقرؤها ، وقد تفهمها ، وقد تسمع تفسيرها ، وقد تفسّرها لأخيك ، ولكنك لم تعلقها ، دليل عقلك لها تطبيقك إياها ، ودليل فهمك لها توضيحك للمعنى ، فإذا وضحت المعنى لآخرين فقد فهمتها ، أما إذا طبقتها فقد عقلتها ، وقبل العقل لا قيمة لأي شيء آخر .

ربنا عزّ وجل يقول : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الله عزّ وجل سماهم صمّاً ، لهم آذان مرهفة ، لهم دماغ تلافيفه متعرجة وهو ذكي ولكنّه عند الله أصمّ لأنّه ما طبق الحق ، هذا التفكير العملي ، أما أن تعلق مصحفاً في البيت ، وتضع مصحفاً على صدرك ، أو تعلق مصحفاً في سيارتك ، تكتب على المحل : فاستقم كما أمرت ، بسم الله الرحمن الرحيم ، إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، تعلق صورة الكعبة في البيت ، ما دام هناك اختلاط فأنت لست عاقلاً شيئاً من الدين ، ما دام الدخل مشبوهاً فلست عاقلاً شيئاً من الدين ، ما دام هناك مصافحة للنساء وتساهلاً في الأوامر وتقسيراً في الصلاة فإنك لم تعقل شيئاً عن الله عزّ وجل ، حتى الإنسان يوفر وقته لأن هذا الحضور من دون تطبيق ليس له قيمة ..

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُذَبِّينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143)

سورة النساء

هذا الإنسان المقصّر هل هو كافر؟ لا ، ليس كافراً ، لأنّه يعرف كل شيء ، فهو مؤمن؟ لا ، ليس مؤمناً ، لأنّه ليس بمطبق ، إنه من المذنبين لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء .

مناط العقل في القلب ومنفذ القلب السمع والبصر :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَيْرِ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ ﴾ إذاً مناط العقل في القلب ، ومنفذ القلب السمع والبصر ، فإذا أحّبّ الإنسان الدنيا كانت غشاوة على سمعه وعلى بصره ، هذه آية دقيقة جداً ومن الآيات المحكمات .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفَسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ علاقة الآية بالآية التي قبلها أنّ الإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى مزوّداً بوسائل المعرفة ، أي هذه السيارة مزوّدة بمصباحين متّلعين شديدين ، فإذا أطفأ السائق هذين المصباحين ، وسار في الظلمات بلا ضوء ، وكان هناك منعطفٌ خطير لم يره بالعين المجردة فنزل في الوادي ، نقول

له : لم يظلمك أحد ، لقد ظلمت نفسك .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَفْسَدُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ عندما يهلك الإنسان هلاكاً في الدنيا السبب أنه ما رأى الحقيقة مع أنه يملك وسائلها ، مع أنه يملك وسائل الحقيقة ، لو أن وسائل الحقيقة لا يملكتها الناس لكان الله سبحانه وتعالى قد ظلم الناس ، لكن الله سبحانه وتعالى قال :

الْمَ نَجْعَلُ لَهُ عَيْنَيْنِ (8)

سورة البلد

بعض تفسيرات هذه الآية : يرى بهما الآيات ..

وَلِسَانًا وَشَفَقَتَيْنِ (9)

سورة البلد

يسأل به عن الحق ..

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)

سورة البلد

طريق الخير والشر ..

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقْبَةَ (11) وَمَا أَذْرَكَ مَا الْعَقْبَةُ (12) فَكَ رَقَبَةٌ (13)

سورة البلد

أي أن تفتك رقبتك من أسر الشهوة ، ما دامت الشهوة أكبر همك وبلغ علمك فلن تعرف الحقيقة .. ﴿ الْمَ نَجْعَلُ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَقَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقْبَةَ (11) وَمَا أَذْرَكَ مَا الْعَقْبَةُ (12) فَكَ رَقَبَةٌ (13) ﴾ أي أن تفتك رقبتك من نير الشهوة ثمن الحقيقة ، لذلك :

عن أبي هريرة : تَعَسَ عَبْدُ الدِّيَارِ، وَعَبْدُ الدَّرَمَ، وَعَبْدُ الْخَمِصَةِ ، إِنْ أُعْطَيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعَسَ وَأَنْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انتَقَشَ ، طُوبَى لِعَبْدٍ أَخِذَ بِعَنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبَبِ اللَّهِ ، أَشْعَثَ رَأْسَهُ ، مُعْبَرَةً قَدْمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ .

صحيح البخاري

الإنسان يقيّم نفسه بهذا المقياس ، مقدار التحرّك ، مقدار الاستجابة العمليّة ، مقدار التطبيق ، هو مقياس عقلك للحق . نذكر بعض الأمثلة ، لو أن أحداًقرأ الآية التالية :

يُصلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)

سورة الأحزاب

هي كآية واضحة ، من الممكن إنسان عادي أن يفهمها ، وهذه الآية لا تحتاج إلى تفسير ، لكن إذا لم يطع الإنسان الله ورسوله ما فاز الفوز العظيم ، فشنان بين فهم الآية وبين تطبيقها .

من الممكن أن أحداً يقرأ بلاغ منع التجول ، يدقق في الخط والحراف ، ونوع الطباعة ، ونوع الورق ، شكل التوقيع ، بخط من ، يدقق بالصياغة ، بالرقم والتاريخ ، لكن فاته أن يطبق البلاغ ، فاته أن يدخل إلى البيت فوراً ، قد يهلك ، درس في هذا البلاغ أشياء كثيرة ولكن غفل عن مضمونه ، إذاً ما عقله ، لو أنه عرف أن هذا البلاغ يعني أنه من يتوجّل في الطريق يعرض نفسه للهلاك قبل أن تدرس الخط ، والتوقيع ، والحرف ، والورق ، وصياغة البلاغ ، ورقمه ، وتاريخه ، انظر إلى مضمونه واستجب له قبل أن يهلك الإنسان ، فالقرآن الكريم أول شيء فيه يجب أن تستجيب لأوامره ، وأن تنتهي عن نواهيه ، وإلا لا جدوى مما سوى ذلك ..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفَسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أحياناً قد يشتري الإنسان دواءً مبيداً لكنه خطر جداً ، والبائع ينصحه فيقول له : إن هذا الدواء خطر جداً ، إذا وضعته في وعاء ، ولم تغسله يمكن أن يسبب هلاك الأسرة ، وهناك من استعمل هذا الدواء في وعاء وغسل الوعاء غسلاً سطحياً ، وطبع فيه فمات أفراد الأسرة كلهم ، البائع بلّغه ، حذرّه ، أخذ توقيعه ، فربنا عزّ وجّل قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفَسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (44) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.. قال : هذا التعارف لا تعارف تراحم ، ولكن تعارف افتراض وتبنيخ ، أنت دللتني على طريق المنكر لا جراك الله خيراً ، يقول له : لا ، أنت السبب ، أنت السبب ، هناك تعارف تعارف تبنيخ وافتراض .

حال الكافر يوم القيمة :

شيء آخر ؛ ربنا عزّ وجّل قال : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي حينما تأذف الآرفة ، حينما يأتي يوم القيمة ، أو حينما تأتي الساعة عندئذ ﴿كَأَنْ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ إذا أعطينا شخصاً فرصة خمس سنوات يتوجّل في أرجاء الأرض ، ويستمتع بكل ما فيها من مباحث ، ويقترب جميع الملذات المباحة وغير المباحة والمحرّمة ، وينغمض في كل الشهوات ، وينفق أبهظ الأموال ، ويعطي نفسه هواها ، وهو عاطل عن أي عمل إطلاقاً ، بل كل عمله الاستمتاع ، وبعد هذا أردنا أن نعذبه عذاباً أليماً ، حينما يبدأ التعذيب الجسدي ألا ينسى كل هذه الأيام ؟ ألا ينسى كل هذه السنوات التي أمضاها في الملذات ؟ هكذا حال الكافر .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ عمرهم المديد قضوه بالمتع التي انغمسو فيها ، بالملذات التي اقتصوها ، بالشهوات التي مارسواها ، بالأيام التي استطروا فيها ، بالليلي التي سهروها ، بالأصحاب الذين استمتعوا بصحبتهم ، بالموبقات التي انغمسو فيها ، هذا العمر المديد الذي أمضوه في المعاصي يصغر ويصغر حتى يصبح ساعةً من النهار

، لذلك سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلما دخل إلى مجلس الخلافة كان يتلو هذه الآية ..

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَغِّونَ (207)

سورة الشعراء

فهذه الدنيا المديدة بشهواتها وملادها ، وطعامها وشرابها ، ونسائها ، وبيوتها الفخمة ، وبساتينها ، ومقاصفها ، وذهبها وفضتها ، وتمتعها الرخيصة وغير الرخيصة ، هذه كلها تصغر وتتصغر حتى تصبح ساعة من النهار .. ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأْنَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ السيدة عائشة رضي الله عنها سالت النبي عليه الصلاة والسلام : أتعرف بعضاً يوم القيمة ؟ سؤال طريف ، أي إذا كان للإنسان جار ، أو له صديق ، أو صاحب ، يعرف شخصاً أعلى منه في الدائرة ، أدنى منه ، صهر مثلاً ، أخ ، أب ، إذا وقعت عين الابن على أبيه يوم القيمة هل يعرفه ؟

عن عائشة رضي الله عنها : أنها ذكرت النار ، فبكـت ، فـما يـبـكـيكـ ؟ ! ، قـالـتـ : ذـكـرـتـ النـارـ فـبـكـيـثـ ، فـهـلـ تـذـكـرـونـ أـهـلـكـمـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ؟ ! فـأـمـاـ فـيـ ثـلـاثـةـ مـوـاطـنـ ؛ فـلـاـ يـذـكـرـ أـحـدـ أـحـدـاـ : عـنـ الـمـيـزـانـ ؛ حـتـىـ يـعـلـمـ أـيـخـفـ مـيـزـانـهـ أـمـ يـثـقلـ ؟ ! وـعـنـ الـكـتـابـ ؛ حـيـنـ يـقـالـ : هـأـمـ اـقـرـؤـواـ كـاتـبـيـهـ ؛ حـتـىـ يـعـلـمـ أـيـنـ يـقـعـ كـتـابـهـ ؛ أـفـيـ يـمـينـهـ أـمـ فـيـ شـمـالـهـ ، أـوـ مـنـ وـرـاءـ ظـهـرـهـ ؟ ! وـعـنـ الـصـرـاطـ ؛ إـذـاـ وـضـعـ بـيـنـ ظـهـرـانـيـ جـهـنـمـ .

هـادـيـةـ الـرـوـاـةـ ، خـلـاـصـةـ حـكـمـ الـمـحـدـثـ : إـسـنـادـ ضـعـيفـ

أـيـعـرـفـ بـعـضـنـاـ بـعـضـأـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ؟ قـالـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ : " نـعـمـ يـاـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ ، إـلـاـ فـيـ ثـلـاثـةـ مـوـاطـنـ ؛ عـنـ الـصـرـاطـ ، وـعـنـ الـمـيـزـانـ ، وـإـذـاـ الصـحـفـ تـشـرـتـ .

فـفيـ هـذـهـ الـمـوـاضـعـ الـثـلـاثـ لـاـ يـعـرـفـ بـعـضـنـاـ بـعـضـأـ ، وـفـيـمـاـ سـوـىـ ذـلـكـ لـوـ وـقـعـتـ عـيـنـ الـأـمـ عـلـىـ اـبـنـهـ تـعـرـفـهـ تـقـولـ لـهـ : " يـاـ وـلـدـيـ ، يـاـ بـنـيـ ، جـعـلـتـ لـكـ صـدـريـ سـقاـءـ ، وـبـطـنـيـ وـعـاءـ ، وـحـجـرـيـ وـطـاءـ - أـيـ فـرـاشـاـ - فـهـلـ مـنـ حـسـنـةـ يـعـودـ عـلـيـ خـيـرـهـ الـيـوـمـ ؟ أـيـ أـمـهـ تـسـوـلـ مـنـ حـسـنـةـ ، فـيـقـولـ : يـاـ أـمـاـهـ لـيـتـيـ أـسـتـطـيـ ذـلـكـ .

الـسـيـدـةـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ بـعـدـ أـنـ سـمـعـتـ قـوـلـ النـبـيـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ : يـحـشـرـ النـاسـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ حـفـأـهـ عـرـأـهـ عـرـلـاـ - قـبـلـ أـنـ يـطـهـرـوـاـ ، قـبـلـ الـخـتـانـ - قـلـثـ : يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ ، التـسـاءـ وـالـرـجـالـ جـمـيعـاـ يـنـظـرـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ بـعـضـ !!! قـالـ صـلـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : يـاـ عـائـشـةـ ، الـأـمـرـ أـشـدـ مـنـ أـنـ يـنـظـرـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ بـعـضـ .

صـحـيـحـ مـسـلـمـ

فقالت يا نبى الله : أو يرى بعضاً هكذا ؟ قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((يا عائشة ، الأمْر أَشَدُ مِنْ أَنْ يَظْرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ)) الأمر أخطر بكثير من أن يلتقطوا إلى بعضهم بعضاً .

الأمور بخواتيمها :

إذا : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأْنَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ حَسِرَ ... أروع ما في هذه الآية أنَّ نوع الخسارة لم يذكره الله سبحانه وتعالى ، نحن في الدنيا قد يخسر الإنسان محلَّه التجاري ، شقت المحافظة شارعاً مرَّ بمحله فأعطوه بدلاً عنه خمسة آلاف ليرة ، بينما فروغ محلَّه خمسة ألف ، أعطوه خمسة آلاف فقط ، أي خسر المحل كلَّه ، لكن صحته سالمَة ، وله بيت ، وله أولاد ، وله أرض ، وله محل ثانٍ ، وعنه بناء يؤجِّره ، خسر محلَّه التجاري ، أحياناً الإنسان يخسر ولداً من أولاده ، يقولون لك : بضاعة مخلوفة ، إذا كانوا يريدون أن يواسوا الأَب يقولون له : بضاعة مخلوفة ، أحياناً يخسر الإنسان بيته من جراء قرار إخلاء ، فيبقى هو وأسرته في الطريق ، يستأجر بيته ، يدبر نفسه ، خسارة الدنيا محدودة ، لكن يوم القيمة ربنا سبحانه وتعالى قال : ﴿ قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ ﴾ خسروا ماذا ؟ كل شيء ، خسروا أنفسهم ، خسروا هذه السعادة الأبديَّة ، خسروا الأَبَد ، خسروا الجنة ، خسروا الفُرُب من الله عزَّ وجلَّ ، خسروا كل شيء ..

ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحبُّ إليك من كل شيء .

لا يصح، وهو من الروايات الإسرائييلية

هذه : ﴿ قَدْ حَسِرَ ﴾ ، في الدنيا الخسارة محدودة ، مقيدة ، خسر ماله ، خسر زوجته ، خسر أحد أبنائه ، خسر منصبه ، خسر بيته ، خسر محلَّه التجاري ، لكن يوم القيمة ﴿ قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ فالامور بخواتيمها ، من شبَّ على شيءٍ شاب عليه ، ومن شاب على شيءٍ مات عليه ، ومن مات على شيءٍ حُشرَ عليه ، ومن هو الكفرا حُشرَ معهم ، ولا ينفعه عمله شيئاً .

الله عَزَّ وجلَّ شهيدٌ على ما يفعل العباد :

﴿ وَإِمَّا تُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّنَكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴾ أي الله عز وجل شهيد على ما يفعل العباد ، أدرك ذلك أم لم تدرك ، الله عز وجل: يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء وانقروا الله الذي شاءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً (1)

سورة النساء

يمكن أنت تعاشر صديقاً لك ظالماً فالله عز وجل يمده ، من الممكن أن الإنسان ينتهي أجله وصديقه الوفي في أوج قوته ، على الله عز وجل الحساب ..
 إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ (26)

سورة الغاشية

أي سوء عليك أشهدت نهاية الكفار أم لم تشهد ف نهايتهم محتمة ، سوء عليك أشهدتها أنت بأم عينك أم لم تشهدها ، سوء عليك أكان في العمر بقيّة تشهد بها مصير الكفار ، أم لم يكن في العمر بقيّة تشهد بها مصير الكفار .. ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ (26) .﴾

﴿ وَإِمَّا تُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّنَكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ :
 قُنْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69)

سورة النمل

فانظروا الفاء للترتيب على التعقيب ..

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11)

سورة الأنعام

أما ثم فهي للترتيب على التراخي ، يمكن أن يأكل الإنسان مالاً حراماً ، ويعتدي ، ويبيغي ، والله يمد بعمره إلى فترة طويلة ، فالإنسان إذا كان له صديق أو جار تجاوز الحد المعقول ، لا يصلني ، وكلمه بذيء ، ورغم ذلك يزداد قوةً ومالاً ، فإن هذا الموقف يجب إلا يحملك على الشك بقواعد الدين ..

من تمام هداية الله عز وجل أنه قيّض لكل أمّة رسولاً :

﴿ وَإِمَّا تُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّنَكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (46) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ﴾ .. من تمام هداية الله عز وجل ، ومن تمام رحمته أنه قيّض لكل أمّة رسولاً ، هذا الرسول يشهد لهم ويشهد عليهم ، يشهد لهم في الدنيا ، ويشهد عليهم في الآخرة ، يذكر لهم الحقيقة في الدنيا ، أي يعرّفهم بالله عز وجل ، بآياته القرآنية ، بآياته الكونية ،

بأسمائه الحُسْنِي ، بمصيرهم بعد الموت ، بنشأتهم ، بجدوى الحياة ، بجوهرها ، هذا النبي ،
النبي عليه الصلاة والسلام وكلنبي ..

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَّاتِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (2)

سورة الجمعة

﴿ يَنْذِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أي يطهِّرهم ، هذه وظيفة النبي ، ووظيفة الدعاة
إلى الله من بعده ..

كل أمة رسول يبلغها :

﴿ وَإِمَّا تُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (46) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾ .. يوم القيمة هذه الأمة أين رسولها ؟ يأتي رسولها ، هل أبلغتهم ؟ نعم ، إذاً يستحقون العذاب ، أغلب المفسرين حمل هذه الآية على هذا المعنى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ..
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَّارًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتَ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَّثُهَا أَلْمٌ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَنْذِلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيَنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)

سورة الزمر

طبعاً : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل ..
﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ، ويقول الكفار : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ..
هذا ليس استفهاماً ، علماء التفسير حملوا هذا الكلام على محمل الاستهزاء والسخرية ، هذا الوعد متى؟ استتكاراً لهذا الوعد والوعيد ، واستهزاءً به ، واستبعاداً له ، استهزاءً واستتكاراً واستبعاداً ...
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ أي إن كنت أنا لا أملك لنفسي التي بين جنبي نفعاً ولا ضرراً فأملك هذا النفع والضرر لكم ؟

ارتباط كل شيء بمشيئة الله عز وجل :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ .. هذه الجملة : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ قال العلماء : استثناء المشيئة محمول على أن الأشياء ثابتة لا بذاتها ، ولكن بمشيئة الله

سبحانه وتعالى ، أنت مثلاً ترى هذه الطاولة من الخشب تتركها مئات السنين تبقى على حالها كما هي ، هذا الخشب له صفات ثابتة ، أي أن قوامه متين ، ولا يتاثر بالهواء ، ولا بأي شيء آخر ، ماداً تظن ؟ تظن أنها ثابتة على حالها بذاتها ، يجب أن تقول : إلا ما شاء الله ، لأنها ثابتة على حالها بمشيئة الله لا بذاتها ، يوجد آية قرآنية :

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ (107)

سورة هود

هذا ليس استثناء ، هذا ليؤكد أن الأشياء ثابتة لا بذاتها ، ولكن بمشيئة الله ، أنت عمرت بيتك في الطابق السابع مطمئن ، وهذا البيت حر ملك ، ودفعته ثمنه ، وانتهيت ، وأسعاره ارتفعت ، تمسك الإسمنت بمشيئة الله عز وجل ، وبقاء الحديد حديداً بمشيئة الله عز وجل ، يقول : هذا البيت قوله قوامه جيد إلا ما شاء الله ، معنى إلا ما شاء الله أي ليس بذاته قائماً ، لكنه قائم بمشيئة الله ، ولو أن الله سبحانه وتعالى غير صفات الحديد لوقع البناء ، ولو غير تمسك الإسمنت لوقع البناء ، ولو غير استقرار الأرض لوقع البناء ، فالإنسان المؤمن الموحد ولو سكن بيته ووضع في أساساته أربعة أضعاف الكميات القانونية ، والحديد بثخانة اثنين عشر ميليمتراً بمشيئة الله ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ هذا الاستثناء الذي أراده الله سبحانه وتعالى إذا تحدث عن شيء دائم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ شخص دخل للجنة :

لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصْبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجٍ (48)

سورة الحجر

بقاؤك في الجنة ليس ذاتياً بذاتك ، بل ببرضا الله عنك ، وبمشيئة الله التي سمحت لك بالبقاء ، ولو أن الله شاء لك غير ذلك لما بقيت فيها ، مثل موظف فوقه يوجد أعلى منه ، هذا الموظف الأدنى حر بالحركة ، والتصرف ، ويمارس صلاحياته ما دام الذي فوقه راضٍ عنه ، وينوي أن يبقى في منصبه ، فإذا أراد الذي أعلى منه أن يُزاح عن منصبه أزيح فوراً .

لكل أمة أجل :

إذا : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا تَفْعَلُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُنْ أُمَّةٌ أَجْلٌ﴾.. أي لكل واحدٍ من أحد هذه الأمة أجل ، ليس المقصود أمّة بكمالها ، لكل واحدٍ من أحد هذه الأمة أجل .. ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَهِمُونَ﴾ مجلات أحياناً تنشر مقالات مضحكه ، أنه تم اختراع دواء يطيل العمر ، هذا الكلام خلاف القرآن الكريم ، الإنسان العاقل لا يقرأ شيئاً خلاف كتاب الله ، لأنه كلام فارغ ،

ووجه ضائع ، وبذل طاقة في غير محلها ، وهذا المقال ينطلق من الباطل .. ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.. العناية بالصحة ليست سبباً لطول العمر ، لا ، ولكن العناية بالصحة من أجل أن تمضي هذا العمر قائماً فقط ، لكن العمر لا يزيد ولا ينقص ، سواءً عليك أكانت عنياتك بالصحة ممتازة أم سيئة ، شخص يكون معه حالات بالقلب مثلاً ، يعيش خمساً وأربعين سنة بعد هذه الحالة ، معنى هذا أن مرض القلب لا يميت ، ولا الضغط يميت ، بل لا يميت إلا الله سبحانه وتعالى ، هذا الإنسان المؤمن ، لكن إذا اعنتي بصحته ، أكل طعاماً معتدلاً ، اهتم بجسمه ، بحركات جسمه ، بعظامه ، بجسمه ، بنظافته ، هذه العناية من أجل أن يستمتع بصحته طوال العمر الذي رسمه الله له ، أي أن يبقى واقفاً ، أي أن يبقى جندياً في خدمة الحق ، أنت عندك خدمة ثابتة وخدمة مسلحة ، طبعاً إذا كنت بصحتك التامة فلاك خدمة في سبيل الله أجرها كبير جداً ..

منتهى الغباء أن تؤمن بالشيء بعد وقوعه :

﴿ قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ أَتَكُمْ عَذَابٌ بِيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَادَا يَسْتَغْجُلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾... مدينة كولومبيا بأمريكا الوسطى ، مدينة سكانها يزيدون على خمسين ألفاً ، وهي في مكان جميل كما سمعت ، لم أر صورها ، بركان حمد منذ مئة وخمسين عاماً ، وعلته الثلوج المتراكمة ، ثار هذا البركان ، أذاب الثلوج ، انهمرت المياه على شكل سيل فأغرقت سكان المدينة ، غارقون في المياه والوحول ، ثم جاءت الحمم من فوهة البركان فغطت المدينة أربعة أمتار من هذه الحمم الملتهبة ، فلما حاول بعضهم إنقاذ من سمعوا له أينما جاءت الحمم الأخرى فوقهم فولوا هاربين وكتبوا : هذه المدينة مقبرة لأصحابها بإذن الله عز وجل ..

﴿ وَتِلْكَ الْقُرْيَ أَهْلَكَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59)﴾

سورة الكهف

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرْيَ بِطُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117)﴾ ، أي آيات كثيرة : ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58)﴾

سورة الإسراء

وقبلها في مكسيكو أيضاً حصل زلزال ، فهذه المدينة التي في كولومبيا قالوا : خمسة وثلاثون ألفاً أبدوا عن آخرهم ، بدقائق ، بساعات ، ﴿ قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ أَتَكُمْ عَذَابٌ بِيَاتًا﴾.. أي أن شخص نائم مطمئن ، أغلق بابه ، وأوى إلى فراشه ، والبيت دافئ ، وصباحاً لديه

مشاريع كثيرة ، ونام وهو مطمئن ، فجاءت المصيبة .. ﴿بَيَّنًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ استعجالهم إذاً استعجال إنكارٍ وسخرية واستبعاد .. ﴿أَتَمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾.. أي منتهى البلاهة والغباء أن تؤمن بالشيء بعد وقوعه .

العقل من يحتاط للأمور قبل وقوعها :

غدير ماءٍ فيه سماتٍ ثلاثة ؛ كيسةٌ وأكياسٌ منها عاجزة ، مرّ بالمكان صيادان ، نظراً في الغدير ، أبصراً ما فيه من السمك ، أحبباً بالسمك ، تواعداً أن يرجعاً ومعهما شباكها ليصيداً ما فيه من السمك - هذه القصة رمزيةٌ - فسمعت السمات قولهما ، أمّا أكياسهن أي أعلهنهن فقالت : العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها .. هذا العاقل .. فلم تخرج على شيءٍ حتى خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير فنجت وارتاحت وأراحـت ، وأما الكيسة أي الأقل ذكاءً فبقيت في مكانها حتى عاد الصيادان ، فذهبـت لتخرج من حيث خرجت رفيقتها فإذا بالمكان قد سُدّ فقالت : فرطت ، وهذه عاقبة التفريط ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ، ثم إنها تماوـت فأخذـها الصياد ، فوضعـها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت في النهر فنجـت ، وأما العاجـزة فلم تزلـ في إقبالٍ وإدبارٍ حتى صـدت .. قال عليه الصلاة والسلام :

عن شداد بن أوس : **الْكَيْسُ - أي العاقل - مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ**
وَالْعَاجِزُ مَنْ أَثْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيِّ .

ضعيف الترمذـي

وهذا معظم حال المسلمين ، تجده يقول : الله يتوب علينا ، نحن عبيد إحسـان ، ولسنا عـيد امتحـان ، ماـذا سنـفعل ؟ حتى الله يتغمـدنا برحمـته ، كلامـ فارـغ ، مقـيم على شهوـاته كلـها ، مقـيم على معـاصـيه كلـها ، ليس مستـعدـاً أن يـتحرـك نحوـ الحق ، ليس مستـعدـاً أن يتـوب إـطلاقـاً ، لكنـ كلامـ لطـيف ، قال :

عن عبد الله بن عمر: إن الله تعالى قال لقد خلـقـت خـلـقاً أـسـنـثـهـم أحـلـى من العـسلـ وـقـلـوبـهـمـ أـمـرـ من الصـبـرـ فـيـ حـلـفـتـ لـأـتـيـحـنـهـمـ فـتـنـةـ تـدـعـ الحـلـيمـ مـنـهـمـ حـيـرـاـنـاـ فـيـ يـغـثـرـوـنـ أـمـ عـلـيـ يـجـتـرـيـوـنـ.

ضعيف الترمذـي

الكلـام ليس هناكـ أـلـفـ منهـ أماـ منـ حيثـ السـلوـكـ فـيـأـكـلـ بـعـضـناـ بـعـضاـ ، يـسـتـغلـ بـعـضـناـ بـعـضاـ ، يـسـحـقـ بـعـضـناـ بـعـضاـ منـ أـجـلـ الدـنـيـاـ ، وـكـلـامـهـمـ لـطـيفـ .. ﴿أَتَمْ إِذَا مَا وَقَعَ

آمَّنُتُمْ بِهِ ﴿ هذه العاجزة بعد أن جاءها الصياد ، وألقى القبض عليها ، وببدأ يضعها على النار ليأكلها عرفت أنها مخطئة ، لكن متى ؟ بعد فوات الأول ..

هل يُنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يُأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَقْعُدُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمْتَثَلَ مِنْ قَبْلٍ أَوْ كَسَبَتِ فِي إِيمَانِهَا حَيْرًا قُلِ الْأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158)

سورة الأنعام

لكن الكيسة قالت : العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها ، والأقل ذكاءً حينما واجهتها المشكلة احتالت لها ونجت لكن بعد أن حطمته أعصابها.. ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هُنَّ ثُجْرَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾..هذه الآيات القرانية .

المذنبات آية من آيات الله عز وجل :

وأما الآيات الكونية فالناس في هذه الأيام يتحدثون عن مذنب اقترب مجئه إلى الأرض ، هذا المذنب اسمه مذنب هالي ، له دورة إهليجية ، الشمس تقع في طرف فاكه الإهليجي ، في الطرف ، أي مضى عليه سبعون عاماً قبل زيارته الأخيرة .
سمى هذا المذنب مذنبأ لأنه يجر وراءه ذنباً ، طوله بسيط ، ثلاثون مليون كيلومتر ، طول ذنبه ثلاثون مليون كيلومتر ، له دورة في فلكه ، فلكه كما قلنا قبل قليل على شكل إهليجي ، أو على شكل بيضوي ، تقع الشمس هنا في طرفه المتراوّل ، هذه الدورة تستغرق سبعين عاماً أو ستة وسبعين عاماً بالضبط ، لأن العلماء رأوه في أقرب نقطة له من الأرض في عام 1910 ، وبقي في هذه السنوات الستة والسبعين في طريقه إلى الأرض ، العلماء قالوا : في شهر تشرين الذي نحن فيه لا يرى بالعين المجردة ، لكن في أواخر كانون الأول يستطيع المراقب أن يراه بمنظار مكبر ، متى يراه ؟ بعد غروب الشمس ، وفي الأسبوع الثالث من كانون الثاني الآتي يُرى بالعين المجردة بعد الغروب من الأفق الغربي ، ثم يمر خلف الشمس ، لم يصل للمنطقة إلى هنا ، يمر خلف الشمس ويضيع ضوءه في ضوئها ، يغيب فترة ، ثم يصل إلى الجانب الآخر من الشمس حتى يصبح مرئياً قبل الفجر .

كان بعد الغروب فصار قبل الفجر ، في نهاية شهر شباط ، وفي نهاية هذا الشهر نتمكن من رؤيته بالعين المجردة قبل الشروق ، في نهاية شباط إذا صعدنا إلى سطح المنزل ونظرنا إلى الأفق الشرقي قبل الغروب نرى مذنب هالي ، متى ؟ قبل الشروق بساعة واحدة ، ثم يُشرق المذنب أبكر فأبكر ، أي قبل ساعة ونصف ، قبل ساعتين ، متوجهًا نحو الجنوب ، وفي

السابع من آذار بالضبط يكون على خط مساو لخط القمر ، يُرى على خط القمر ، وفي أواسط آذار سيمتد ذيله إلى سدس القبة السماوية ، أي إذا كانت القبة السماوية ستة أسداس يحتل مذنب هالي سدس القبة السماوية ، ولكن ليس عندنا في نصف الكرة الجنوبي ، في أستراليا ونيوزيلندا والأرجنتين هناك يرى ، أما نحن في المنطقة المعتمدة فنراه في الأفق الجنوبي ، وفي الحادي عشر من نيسان يصل إلى أقرب مسافة من الأرض ، وسيكون في مركز القبة السماوية من أستراليا ونيوزيلندا والأرجنتين ، وسيكون منخفضاً في الأفق الجنوبي ، في هذه الأوقات نراه إذا اتجهنا إلى الجنوب ، إلى الأفق الجنوبي نراه رؤية واضحة ولكن أهل أوروبا لا يرونها أبداً لأنها يأتي في زاوية ميّة بالنسبة لزوايا رؤيتهم .

على كل هذا الذيل كما قلنا طوله حوالي ثلثين مليون كيلو متر ، أنا كنت أظن أنه يوجد مذنب أو مذنبان ، العلماء حتى الآن اكتشفوا سنتة مذنب ، أول مجموعة تشكل مئة مذنب ، قطر مسارها مليون سنة ضوئية ، رقم مذهل ، هذه المذنبات لها سرعات كبيرة جداً ، المجموعة الثانية أربعين سنة ضوئية وخمسون مذنبًا ، تصل الشمس كل دورة تستغرق مليوني سنة ، المجموعة الثالثة مجموعه هالي ستة عشر مذنبًا ، دورتها في مدارها أقل من مئتي عام ، مذنبنا ست وسبعين سنة ، يوجد مجموعة رابعة هذه المجموعة مئة مذنب ، دورتها حول الشمس من خمس عشرين سنة ، يوجد مذنب واحد دورته حول الشمس كل ثلاث سنوات مرة ، هذا يُرى بانتظام ، رئي في عام 1984 ، ورأي ثلاثة وخمسين مرة قبل هذا التاريخ ، منذ ثلاث سنوات إلى عشرين سنة لمئتي سنة لليوني سنة لليوني سنة ضوئية .

هذه المذنبات آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، لو أنها غيرت مسارها واتجهت نحو الأرض ماذا يحدث ؟ طول ذنبه ثلاثون مليون كيلومتر ، نحن كل قطر أرضنا حوالي أربعين ألف كيلومتر .

من عرف الله واستقام على أمره فهو عالم بشهاده رسول الله :

لذلك :

وفي الأرض آيات للمؤمنين (20)

سورة الذاريات

فَلِمَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101)

سورة يونس

الإنسان إذا عرف الله من خلال آياته يخشع قلبه ، وإذا خشع قلبه استقام على أمره ، وكما قلت قليل : علامه العقل الاستقامة على أمر الله ، وقبل أن تستقيم لا يمكن أن

تسمى عاقلاً ، ابن آدم أطع ربك تسمى عاقلاً ، ولا تعصه فتسمى جاهلاً ، كفاك علمًا أن تخشى الله . أي أخ حاضر معنا مهما تكن نوعه ثقافته لو كان لا يقرأ ولا يكتب إن كان مستقيماً على أمر الله فهو عالم بشهادة رسول الله ، واضرب بشهادة الناس عرض الطريق ، ما دام مستقيماً على أمر الله فهو عالم بشهادة رسول الله ، ومن يحمل أعلى شهادة علمانية وهو يشرب الخمر ، ويفعل السيئات فهذا جاهل جهالة كبرى .

والحمد لله رب العالمين